الفصل الأول: المجتمع الجرماني

-العوامل الاساسية التي أدت لحدوث تغييرات في الإمبراطورية الرومانية وأوائل القرن الرابع :

أولا : اضمحلال الامبراطورية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا. ثانيا : اعترف الامبراطور قنسطنطين بالديانة المسيحية. ثالثا : نقل عاصمة الامبراطورية من روما الى القسطنطينية. رابعا : تدفق جماعات البرابرة الجرمان على الامبراطورية.

-مدلول مصطلح " بربرى ": لفظ " بربرى " أطلقه الرومان على الشعوب المستقرة فيما وراء نهرى الراين والدانوب قديم جدا، فقد ظهر فى الإلياذة، وهو يدل على الاحتقار والازدراء. ولكنه لا يعنى الهمجية أو الوحشية.

-إحاطة البرابرة والجرمان بالإمبراطورية الرومانية: في الشمال الشرقي –ولقد اشتملت على العديد من الجماعات مثل السكيثيين والسارماتيين والهون، والبلغار، والافار، والمجريين، والمغول والاتراك، وفي الغرب – داخل الحدود الأوروبية – كان هناك السلاف والجرمان والكلت، والواقع، أن هذه الشعوب كانت فى بادئ الأمر بعيدة عن حدود الامبراطورية الرومانية .

- تنقسم الشعوب الجرمانية الى قسمين : الشعوب الجرمانية الشمالية والشرقية أثرت البقاء فى شبه جزيرة اسكندناوه والمناطق المحيطة بها ، حيث تفرعت عنها الامم السويدية والنرويجية والدانية المعاصرة ، وتقع الاراضى التى يعيش فيها الشرقيون بين الألب والفستولا وسواحل البحر الاسود اما الجرمان الغربيين فيعيشون فى المناطق الواقعة بين الالب والراين.

- ضمت الشعوب الجرمانية الشرقية على العديد من القبائل والجماعات مثل :القوط، والوندال، والهيرولى، والبرجنديين، واللمباردیين، والجيبيداى وغيرهم، فى حين اشتملت الشعوب الجرمانية الغربية على: التيوتون ، والاليمانى ، والسويفى والكمبرى ، والشاتى ، والماركونى ، والجوتنج ، والكوادى والشيروسكى والثورنجيين .

ورغم قلة ما ورد فى المصادر التاريخية عنهم؛ فاننا يمكن أن نقف على بعض المعلومات عن حياتهم الاولى من خلال ما كتبه يوليوس قيصر (١٠١ – ٤٤ ق .م)، فى مذكراته المسماه مذكرات فى الحرب الغالية، اما المؤرخ كورنيليوس تاكيتوس فان كتاباته عن الجرمان تعد أعظم الكتابات التى عرفها العالم الرومانى ، لماذا ؟لأنه قدم صورة رائعة عن حياة الشعوب الجرمانية وعاداتها وتقاليدها فى كتابه المسمى " جرمانيا " ، واسمه كاملا " بحث فى أصول الشعوب الجرمانية ووطنها وطرق معيشتها " وقد صل الى منصب قنصل سنة ٩٨ م ، ثم البرو قنصل، الذى مكنه من التعيين حاكما لولاية آسيا الصغرى سنة ١١٢م. ولقد مات هذا المؤرخ فى سنة ١٢٠ م . ألف تاكيتوس كتابه فى عهد الامبراطور تراجان.

وصف المجتمع الجرماني كما كتبه تاكيتوس ، ماذا كتب تاكيتوس عن الجرمان ؟:

أولا : بخصوص الأراضي التى عاشوا فيها ، أوضح أنها بلاد كئيبة، تجعل الناظر اليها يشعر بالحزن ، بسبب وعورتها ومناخها البالغ القسوة.ثانيا : انهم عنصر نقى ، لم يختلط بدماء أخرى من الشعوب المجاورة . والرجل الجرمانى ذات عيون زرقاء ، وشعر أصفر وقامة طويلة ضخمة. وبسبب مناخ وتربة بلاده فإن الرجل الجرمانى تكون لديه القدرة على تحمل البرد والجوع ، اما الحر والعطش فان قدرته على احتمالها صعب.ثالثا : أما عن ديانتهم: فهى عبادة الكواكب والنجوم والشمس والبرق والرعد والرياح والامطار . كما عبدوا عطارد كإله أساسى لهم ، وكانوا يقدمون له القرابين فى أوقات معلومة من السنة، ويقال إن هذه القرابين كانت أحيانا من البشر. كما عبدوا هرقل ومارس. رابعا : أما حياة الجرمان الاجتماعية : طبقة النبلاء ، وطبقة الاحرار، وطبقة العبيد، والعبيد هم الذين جاءوا من اسرى الحروب. ولقد كون النبلاء طبقة الفرسان المحاربة، التى كانت تقضى أوقات السلم فى الأكل والنوم والصيد والتسكع ، ولم يزاولوا أية مهنة أخرى كالزراعة . ولم يعرف الجرمان حياة المدن فى عصورهم الاولى. وانما عاشوا فى قرى متناثرة وسط الغابات أو حول ينابيع المياه، بنوا بيوتهم من الكتل الخشبية والطمى ، كما حفروا الكهوف فى باطن الارض، وحرصوا على اخفاء معالمها ، وذلك عن طريق تغطيتها بأكوام من المهملات.

الزى الجرمانى :اعتاد الجرمان على ارتداء ملابس بسيطة من جلود الحيوانات، ويطلقون شعر رؤوسهم ولحاهم، وربما ربط الرجال شعرهم على هيئة ضفائر. ولم يختلف زى النساء عن الرجال، سوى فى لباسهن الداخلى .وطعام الجرمان : كان بسيطاً يتألف من اللبن والفاكهة ولحوم الصيد والحبوب، ولم يعرفوا النبيذ الا عندما استقروا على الحدود الرومانية، وشرابهم الأساسي يصنع من الشعير أو القمح، أي أنه أقرب الى الجعة منه الى النبيذ، وعرف عنهم الميل الى الشراب حتى الثمالة.

الثروة لدى الجرمان : والمعروف أن الثروة عند الجرمان قومت بالخيل والماشية وغيرها من الحيوانات الاليفة ، ولم يهتموا بحيازة الذهب والفضة. الحياة الزوجية لدى الجرمان : كان اهم ما امتدحه تاكيتوس فى الجرمان هو مراعاتهم الشديدة لرباط الزوجية المقدس. والقاعدة هى ان يكتفى الزوج بزوجة واحدة وجرى العرف أن الزوج هو الذى يدفع المهر للزوجة، كما كان يتم الاتفاق بين والد العروس وأقاربها على الهدايا التى سوف يتبادلها الزوجان، ومن النادر أن ترتكب امرأة جرمانية الخطيئة، واذا حدث فإن عقوبتها كانت قاسية، حيث يقوم الزوج بحلق شعرها أو طردها من بيته، ويشهر بها فى طرقات القرية كلها.

بعض من صفات الجرمانى : الكرم: كما أن تاكيتوس امتدح أيضاً من الجرمان كرمهم المطلق الذى تفوقوا فيه عن غيرهم ، وفى ذلك نرى أن الضيف عندما يحل على مضيفه كان المضيف عليه ان يستقبله بالترحاب. لعب الميسر : ومن صفات التى كانت تؤخذ عليهم صفة لعب الميسر والمقامرة حتى بلغ الامر بالشخص الذى يفقد ماله أن يقامر على حريته الشخصية.

التنظيمات السياسية لدى الجرمان : اذا بدانا من الاصغر نجد القرية او ما يسمى المارك ، ومن بعدها تنظيم يعرف بالمائة، وهى وحدة عسكرية أكبر من القرية، وتضم عدة قرى، اما التنظيم الثالث فهى هيئة سياسية تعرف بالمقاطعة أو المديرية، والتى كان يطلق عليها اسم الجاو. وكانت تتألف من عدة وحدات عسكرية، وعندما اتسعت المقاطعات او المديريات الجرمانية فقد ألفت الدولة القبيلة والتى عرفت فيما بعد باسم الرايخ .

رؤساء القبائل وصفاتهم واختصاصاتهم : وعلى رأس كل قبيلة من القبائل الجرمانية جاء بعض الرؤساء أو القادة ، وهؤلاء لم يكونوا ملوكا أو نبلاء وإنما كانوا زعماء اختارهم شعبهم لما تحلوا به من صفات تؤهلهم للزعامة ، وأهم هذه الصفات كانت صفة الشجاعة والاقدام .

وكان من اختصاصات زعيم القبيلة :

اولا: قيادة الحروب،هو الذى عليه أن يضع الخطط الحربية ،ثانيا:توجيه النداء الى المحاربين الشجعان الباحثين عن المغامرة.

ظهور مبدأ الإنتخاب : أنه لما كانت الحروب دائمة ومستمرة فإن زعيم القبيلة، القائد العسكرى، كان يتكرر انتخابه. ثم تطورت الامور فأصبح يختار ابنه بعد وفاته، فأدى ذلك مع مرور الوقت الى قيام نظام ملكى وراثى فى الدول والمجتمعات الجرمانية.

النظم القضائية لدى الجرمان : يقول التاريخ أنه امام مجلس القبيلة العام، كان يحق لأى مواطن جرمانى أن يرفع دعواه . وعند ذلك كان لابد للمتهم أن يقف امام المحكمة، وذلك لأنه ان لم يفعل ذلك كانت تتم ادانته ، وفى هذه الحالة يعرض للقصاص.

أنواع العقوبات لدى الجرمان :المعروف ان توع العقوبة كان يتوقف على نوع الجريمة المرتكبة ، فمثلا الذين يرفضون الخروج الى القتال أو الذين يهربون من ميدان المعارك كان يتم عقابهم علانية وذلك بشنقهم على الاشجار ، حتى يكونوا عبرة ودرس لا ينسى لغيرهم ، فى حين أن الذين جاءوا بأعمال تخالف تقاليد وعادات المجتمع الجرمانى ، كان عقابهم الدفن أحياء.

دور المرأة الجرمانية أثناء الحروب : حيث أنه عندما كان يخرج الجيش للقتال كانت النساء والبنات يخرجن وراءه، واثناء القتال اذا انسحب هذا الجيش أو لاح فى الأفق أنه سوف يهزم ، كانت النساء وعلى الاخص العذارى – تقف فى طريق المحاربين المرتدين ويكشفن على صدورهن ، حتى يدرك هؤلاء العار الذى سوف يلحق من وقوع نسائهم فى الاسر.وكانت النساء تثبت الشجاعة فى قلوب المحاربين وتقدم لهم الماء والطعام وتداوى الجروح. ومن أجل ذلك يقال أن المراة حظيت عند الرجال بمكانة تكاد تكون سامية .

النزعة الديمقراطية فى المجتمع الجرمانى :لان الديمقراطية كما عرفها الجرمان كانت محدودة وقاصرة على طبقة النبلاء والاحرار ولم يتمتع بها بطبيعة الحال غير الاحرار من العبيد. وبهذا يمكن القول ان المجتمع الجرمانى قام على اساس التفرقة الاجتماعية بين مختلف طبقاته.

الفصل الثاني الغزوات الجرمانية للامبراطورية الرومانية

أسباب هجرات الشعوب الجرمانية وغزواتهم للإمبراطورية الرومانية:

١- الزيادة التى طرأت على اعدادهم ،فإن الأراضي لم تعد قادرة على استيعابه ٢- كما أن اراضيهم الزراعية وما تنتجه من محاصيل أصبحت غير كافيه لسد احتياجاتهم ٣- فإن هذه الشعوب تعودت على حب المغامرة وعدم الاستقرار فى مكان ما لفترة طويلة . ٤- المدنية الرومانية وما بلغته من تقدم من بين العوامل الى اجتذبت انظار هذه الشعوب. ٥- الضغط الذي تعرض له لجرمان من قبل القبائل الرعوية البدوية القاطنة فى وسط آسيا.٦- طقس البلاد التى يعيشون فيها لعب دورا كبيرا فى هجراتهم

غارات الشعوب الكلتية على الإمبراطورية الرومانية : والشعوب الكلتيه هى إحدى عناصر الجنس الأوروبي الهندى ، التى وصلت الى أوروبا عن طريق الهجرة صوب الغرب منذ أزمنة موغلة فى التاريخ . غير أنهم اضطروا تحت وطأة الجرمان من الشمال ، ابتداءا من سنة ٤٠٠ قبل الميلاد الى ترك هذه المناطق والتوجه ناحية الجنوب الغربى والجنوب الشرقى .

أولا :القوط وعلاقاتهم بالامبراطورية الرومانية حتى القرن الرابع : القوط قد احتلوا – خلال القرن الاول الميلادى – الشواطئ الجنوبية لبحر البلطيق ، وفى القرن الثانى الميلادى بدأوا يهاجرون الى المنطقة الواقعة الان جنوب روسيا. فوصلوا الى شواطئ البحر الاسود ، وفى النهاية استقر بهم المقام فى المنطقة الواقعة بين نهر الدن ونهر الدانوب السفلى.

القوط الغربيين (الفيزيقوط) ، وهؤلاء أقاموا بين نهرى الدانوب والداينستر ، وهى الان ملدافيا ، وولاشيا وهنغاريا الجنوبية. فى حين أن الفيزيقوط فعتود تسميتهم الى صفة الحكمة .

والقوط الشرقيين (الأوستروقوط) وهؤلاء أقاموا جنوب روسيا على نهر الداينستر ، الان بساربيا ، وترنسلفانيا ووادى الدنيستر .لان تسمية من عرفوا بالشرقيين أو الأوستروقوط ، إنما تعود أصلا الى لفظ قديم وهو أى الساطعون او الزاهرون.

هجوم القوط على الإمبراطورية الرومانية : وعبروا نهر الدانوب ، وزحفوا داخل اراضيها ، الامر الذى حتم على بعض الاباطرة الرومان امثال – جورديان دفع الرشوة لزعمائهم، لمغادرة الاراضى الرومانية ، ففى عهد الامبراطور دكيوس (٢٤٩ – ٢٥١ م) ، عبر القوط نهر الدانوب الادنى وهاجموا مقدونيا، وتراقيا ، ونشروا الدمار والخراب فى الامبراطورية، بل وزحفوا صوب مدينة فيليبوبوليس ، وعندما سعى دكيوس لوقف زحفهم منى بهزيمة مدوية على أيديهم. ولكنه رفض، حيث كان ينوى القضاء عليهم، فدفع ثمن هذا الرفض غاليا ؛ وذلك لأنه فى المعركة التى خاضها ضدهم سنة ٢٥١ م ، لقى حتفه وابنه ٠

ولقد ترتب على هذه المعركة استيلاء القوط على الولايات الدانوبية، لاسيما بعدما عجزت القوات الرومانية عن وقف زحفهم. ولذلك عندما وجد الامبراطور جالوس (٢٥١ – ٢٥٢ م) أنه غير قادر على طردهم من اراضية، عرض عليهم الجلاء منها مقابل جزية سنوية ضخمة. وقد تمكن الامبراطور كلوديوس الثانى الملقب بالقوطى (٢٦٨ – ٢٧٠ م) من هزيمة القوط بالقرب من نيسوس (نيس) فى سنة ٢٦٩ أو ٢٧٠م

اعتناق القوط للمسيحية : بدأت المسيحية تظهر بين قبائل القوط فى القرن الثالث الميلادى . وهناك اعتقاد بأن اسرى القوط الذين اسروا من قبل الرومان فى آسيا الصغرى عندما عادوا الى بلادهم راحوا ينشرون هذه الديانة بين أقرانهم.وعلى كل فاعتناق القوط للمسيحية جاء على المذهب الاريوسى ، وذلك عن طريق مبشرهم العظيم أولفيلاس (٢١١ – ٢٨١ م) .

القوط الغربيين (الفيزيقوط) والامبراطورية الرومانية : بدأت جحافل الهون الاسيوية التقدم صوب الغرب ، فى شكل اعصار مدمر، اجتاح قبائل الالان الجرمانية فى المنطقة الواقعة بين القوقاز والدون ، وبعد ذلك بخمس سنوات، وبالتحديد فى سنة ٣٧٥ م ، انقض الهون على القوط الشرقيون فى جنوب روسيا ، ونكلوا بهم فانقسموا الى قسمين،حيث انضوى القسم الذى يمثل

الاغلبية تحت سيادة الهون ، الذين عاملوهم معاملة طيبة، أما القسم الثانى فقد اتجه الى الدنيستر ثم الى الدانوب وهناك انضموا الى أخواتهم القوط الغربيين . وهؤلاء بدورهم عندما انقض عليهم الهون فى اقليم داشيا سنة ٣٧٦ م .

عبور القوط الغربيون نهر الدانوب : عندما وقفوا على نهر الدانوب والعدو من خلفهم ومياه النهر من أمامهم ، أرسلوا وهم فى حالة يأس صرخة أمل فى سنة ٣٧٦ م الى الامبراطور فالنز (٣٦٤ – ٣٧٨ م) بأن يسمح لهم بعبور نهر الدانوب حتى يسلموا من الطوفان الهونى . من الصعب عليه أن يقرر أى الامرين أشد خطورة : أن يرفض السماح بالعبور لمائتى ألف رجل وفى حالة ياس وبايديهم الاسلحة وخلف ظهورهم عدو متوحش وكانت موافقة فالنز مشروطة بتقديم القوط رهائن، وتسليم أسلحتهم. قبل القوط الغربيين شروط الامبراطور فالنز وقدموا أبناء رؤسائهم رهائن، وعبروا نهر الدانوب حوالى ٥٠٠.٠٠٠ ألف قوطى.

بداية نذر الخلاف بين القوط الغربيون والإمبراطورية الرومانية : ولكن القوط الغربيون ما ان وصلوا الى مؤيزيا ، حتى بدأت نذر الاضطرابات تلوح فى الافق ، اذ أن الموظفين الرومان سعوا فى البداية الى تجريد القوط من سلاحهم ، الا أنهم رفضوا هذا المبدأ، وقاموا بدفع رشاوى كبيرة بهدف السماح لهم بالاحتفاظ بأسلحتهم.

ثورة القوط الغربيون ضد الرومان ، لماذا ؟٠

اولا : إن موارد مؤيزيا لم تكف كل هذه الآلاف من الأنفس التى دخلت حدودها، واذا كان الامبراطور فالنز قد أمر بجميع كميات من القمح الآسيوى لسد رمق القوط . ثانيا : إن السكان الرومان انفوا وجود كل هذه الالاف المؤلفة من البرابرة الجرمان على أراضيهم. ثالثا: المعاملة الغير انسانية التى عامل بها قادة الامبراطورية الرومانية وموظفيها الجرمان . رابعا : قيام السلطات الرومانية بنقل أعداد كبيرة من القوط فى آسيا الصغرى .

ثورة القوط الغربيون ومقتل فالنز : لم يكن أمام القوط سوى الاحتكام الى السلاح ، فثاروا ضد الامبراطور، وعاونهم فى ذلك عناصر متبربرة أخرى من قبائل الهون والآلان ، وكثيرين من العبيد الفارين ، وعجزت القوات الرومانية عن الوقوف فى وجوههم . ودخل المعركة وهو مفعم بالنصر ، لدرجة انه لم يكلف نفسه عناء إحضار فرق الفرسان، أو انتظار قدوم ابن اخيه الامبراطور جراتيان ، امبراطور النصف الغربى من الامبراطورية، وهو أمير صغير وشجاع ، ولكن مستشارى فالنز أوحوا اليه بعدم الانتظار حتى ينال شرف الانتصار وحدة .

ماهى النتائج التى ترتبت على موقعة ادريانوبل ؟

أولا : انكسار حاجز الخوف والرعب والوهم الذى كان يسيطر على قلوب. ثانيا : تمزق الجيش الرومانى (جيش القسم الشرقى من الامبراطورية كله) فى هذه المعركة. ثالثا : انتشار القوط فى شبه جزيرة البلقان وتعرض مدينة القسطنطينية لاول هجومهم.

الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير (المحب للسلام والقوط) والقوط الذين أصبحوا بمقتضاها معاهدين للامبراطورية. ومما خفض من حدة حرارة القوط هو التنازل لهم عن بعض الاراضى الرومانية التى كانوا قد خربوها فى اقليمى مؤيزيا وتراقيا ، وذلك بهدف الاقامة فيها . وتمتعهم أيضا بالسيادة الذاتية الكاملة ، والاعفاء من الضرائب. ان ذلك كله كان مقابل تعهد القوط بتقديم العون العسكرى للامبراطور سنويا.

تقسيم الإمبراطورية على يد ثيودوسيوس الكبير ، عام ٣٩٥م: قسيم امبراطوريته الى قسمين:

شرقى ، وعاصمته مدينة القسطنطينية وعين عليه ابنه الاكبر اركاديوس (٣٩٥ – ٤٠٨ م) ، امبراطورا ، والذى كان عمره يومها حوالى ثمانية عشر عاما . وغربى، وعاصمته رافنا وعين عليه ابنه هونوريوس (٣٩٥ – ٤٢٨ م) امبراطورا، والذى كان قاصر، حيث كان عمره يناهز الحادية عشر عاما٠

تعليق على تقسيم الإمبراطورية عام ٣٩٥م : وعلى أية حال ،لقد سلم الأخوين دفة الامور فى كل قسم من اقسام الامبراطورية الى الاجانب. حيث تولى ستيليكو ، القائد الواندالى فى الغرب ، فى حين تولى روفينوس الوزير القوطى فى الشرق.

ألاريك والإمبراطورية الرومانية : فكما هو حادث ، اختار القوط الغربيون الاريك ابن العشرين – ملكا عليهم ورغم ذلك لم يكن يدور فى خلده تدمير الامبراطورية . وكى يوقف اركاديوس هذا الطوفان الجارف الذى لا قبل له به ارسل وزيره " روفينوس " الى الاريك فى مارس سنة ٣٩٥ م. وبعد مفاوضات طويلة وشاقة حصل الاريك على مبلغ من المال كما أنعم عليه اركاديوس بلقب شرفى عظيم هو " سيد الجند "ولكن هذا لم يرض أطماع الاريك فلوى عنان فرسه ناحية القسم الغربى من الامبراطورية الرومانية ، وذلك بهدف غزو ايطاليا ومن ثم عبر فى سنة ٤٠١ م جبال الالب ، وانساب بقواته فى الشمال الايطالى .

كما استدعى ستيليكو من بلاد الغال (فرنسا) لوقف زحف الاريك وبالفعل تمكن ستيليكو من هزيمة الاريك وجحافله هزيمة مروعة بالقرب من بولانزو ، فى مارس سنة ٤٠٢ م وأنزل به هزيمة قاسية أخرى فى موقعة فيرونا ، فى سنة ٤٠٣ م .ولكن اذا كان آلاريك غض الطرف عن غزو مدينة روما ، فان ذلك كان مؤقتا فقط . ان الرجل كان يتحين الفرصة، التى جاءته تسعى باعدام ستيليكو سنة ٤٠٨ م على يد الامبراطور هونوريوس .

ألاريك ومدينة روما : لم يترك الاريك الفرصة تفلت من يده ، فعبر على الفور جبال الالب متوجها الى مدينة روما ، وفى مطلع سنة ٤٠٩ م وصل بجحافله الى مدينة روما ، وأحكم حصاره عليها ، حتى عانى اهلها من الجوع بسبب نقض المؤن ، ومات منهم الالاف جوعى ومما زاد الطين بلة ، أن الامبراطورهونوريوس ، الذى لا حول له ولا قوة هرب من روما وتوجه الى مدينة " رافنا " وفى ٢٤ أغسطس سنة ٤١٠ م دخلت القوات القوطية مدينة روما ، ويومها راحت تنهب ، وتسلب وتشعل النار فى كل ما يقابلها فى المدينة.

تطلع ألاريك لغزو الشمال الافريقى : أن الاريك فكر فى غزو شمال افريقيا الذى كان يمد روما بالغلال، فتقدم على راس قواته حتى وصل جنوب ايطاليا توطئه لعبور البحر المتوسط ولكن المنيه عاجلته فجاه قبل نهاية ٤١٠ م فى ابوليا .

الملك أثولف والإمبراطورية الرومانية :بعد موت الاريك المفاجئ ، اختار القوط الغربيون اثولف ملكا عليهم . أن الرجل قد فكر للحظة فى إزالة الامبراطورية الرومانية وإقامة امبراطورية قوطية مكانها ، ولكنه مالبث أن عدل عن هذه الفكرة . ولذلك نجده يضع ، فى نهاية الأمر ، جيوشه وشعبة فى خدمة الامبراطور ، ويتخذ لقب " باعث مجد الامبراطورية الرومانية "، هذا فى الوقت الذى فكر فى اتخاذ بلاد الغال وطنا لقومة، فكان إن تقدم الى الشمال الايطالى، وعبر جبال الالب بقواته الى جنوب بلاد الغال ، سنة ٤١١ م .ولكن الرياح جاءت بما لا تشتهه السفن ففى سنة ٤١٤ م عقدا آثولف قرانه على جالابلاسيديا ، أخت الامبراطور هونوريوس ، فأثار قائد الجيش قنسطنطيوس الذى كان ينوى الزواج منها، كما أثار أيضا اطماع آثولف فى بلاد الغال، وما ثم قاد قنسطنطيوس قواته واتجه الى هناك. وفى مدينة برشلونة ، اغتيل آثولف فى أغسطس سنة ٤١٥ م ٠

واختار القوط الغربيون سيجريك ملكا عليهم ، ولكنه لم يدم طويلا فى الحكم.

أولا : قتل أولاد آثولف ٠ ثانيا : معاملة جالابلاسيديا معاملة سيئة.

الملك واليا والرومان : يقال ان واليا ملك القوط الغربيين الجديد هو الذى اغتال سيجريك بعد أسبوع واحد من تولية العرش القوطى عمل علي ١- استقرار القوط الغربيين فى اقليم أكوتين فى جنوب غالة . ٢- وافق الرومان على مد القوط الغربيون بالقمح ٣- وافق واليا على إن يكون معاهد (محالف) للامبراطورية٠ ٤- كما وافق على العمل من أجل طرد الواندال.

الملك القوطى الغربى ثيودوريك الاول والرومان :

عند وفاة واليا اختار القوط الغربيين ثيودوريك الاول (٤١٩ – ٤٥١ م) عليهم ، وقد سعى الى توطيد أركان مملكته وتوسيع رقعتها ، ومن أجل ذلك استولى على عدة مدن من الامبراطورية فى جنوب غاليا، سنة ٤٣٦ م . وعندما سعى الرومان لوقف هذه الاعمال التوسعية نزلت بهم الهزيمة سنة ٤٣٩م ، وعلى اثر ذلك ساد السلام بين الطرفين . وفى النهاية مات ثيودوريك الاول فى سنة ٤٥١ م ، عندما كان يساعد الرومان فى معركة شالون ضد الهون بزعامة اتيلا . فخلفه فى حكم القوط

الغربيين ثيودوريك الثانى (٤٥١ – ٤٦٥ م) ، الذى حارب السويفى ، كما مد حدود مملكته حتى نهر اللوار ولكنه قتل فى سنة ٤٦٥ م على يد اخيه أيوريك (٤٦٥ – ٤٨٤ م) الذى يعد من أعظم ملوك القوط الغربيين.

الهون والامبراطورية الرومانية : " الهون " عرفت فى موطنها الاصلى باسم قبائل " هسيونج هو ". التى تعود فى أصولها الى الجنس المغولى. الذى كان يعيش فى شمال الصين الحالية، والمعروفة باسم " منغوليا " . وفى منغوليا لم يطب المقام لقبائل " الهون " ، بسبب بعض التطورات التى وقعت هناك ، فاجبرتها على الرحيل ناحية الغرب بسبب:

١-الزيادة المطردة فى أعدادها. ٢- أو نشوب قلاقل وصراعات بينها٠

٣- أو أن المناخ لعبت تغيراته دورا كبيرا فى التأثير على هذه القبائل ٤- أو ان المؤن قد قلت .

استقرار الهون فى المجر فى القرن الخامس :واصل الهون زحفهم ناحية الغرب ، تجاه أوروبا الوسطى . وعندما قيض لهذا الزحف المدمر التوقف فى نهاية المطاف ، وبالتحديد فى القرن الخامس الميلادى، كان الهون قد نجحوا فى تكوين امبراطورية شاسعة.ان المؤرخ الرومانى المعاصر " جوردان " فى وصفه للهون ذكر أنهم شياطين لا تقهر، يحاربون من فوق ظهور الخيل ويعيشون أيضا عليها ، حيث كانوا يتناولون الطعام وهم على ظهور الخيل ، التى كانوا يدفنون اللحم " المقدد " تحت سروجها .

أتيلا والقسم الشرقى من الإمبراطورية الرومانية :ان اتيلا طالب ثيودوسيوس الثانى برفع قيمة الجزية التى كانت الامبراطورية تؤديها له ، ولكن الامبراطور رفض فى كبرياء، وراح ينسج خيوط مؤامرة فى مدينة القسطنطينية للتخلص من اتيلا، ولكن الرجل عرف بهذه المؤامرة فى اللحظات الاخيرة، ويومها سخر من ثودوسيوس الثانى قائلا :" ان عبدة ثيودوسيوس الذى دأب على دفع الجزية له سولت له نفسه بأن يتأمر على قتل سيده " . ولان اتيلا لم يكن قانعا بما تحت يده من اراضى شاسعة فقد تطلع الى توسيع املاكه على حساب الامبراطورية وفى بداية الامر وقع بصره على القسم الشرقى من الامبراطورية ، فعبر نهر الدانوب فى سنة ٤٤١م واجتاح شبه جزيرة البلقان، حتى وصل بجحافله أبواب مدينة القسطنطينية.

أتيلا والقسم الغربى من الإمبراطورية الرومانية :معركة الشعوب ، عام ٤٥١م : وفى معركة سهل موريـاك قرب شالون، على نهر السين الاعلى، سنة ٤٥١م ، هزم اتيلا وقواته هزيمة مدوية على يد أنتيوس.حيث ارتد اتيلا على اثارها شمالا، مخلفا وراءه اعدادا لا تحصى ولا تعد من القتلى والجرحى وهذه المعركة هى التى حملت فى التاريخ اسم " معركة الشعوب "

أسباب تراجع أتيلا عن احتلال مدينة روما عام ٤٥٢م :

١- المجاعة التى تعرضت لها قواته٠ ٢- والاوبئة التى انتشرت فيها . ٣- وصول البابا ليو الاول على راس سفارة الى معسكر اتيلا ، وهناك دارت المفاوضات بين الجانبين .٤- ولقد قيل ان طيف القديس بولس ظهر لاتيلا فانتابه الفزع .٥- تعهد الرومان بدفع جزية سنوية للهون .٦- وتواترت الانباء انذاك عن قرب مجئ القوات المتحالفة الغربية لمواجهة الهون .

وبعد .... لقد واتت المنية اتيلا بعد عودته الى هنغاريا بوقت قصير سنة ٤٥٣م ، فى ليلة زفافه. وبموته تمزقت امبراطوريته بين ابنائه. وفى معركة نهر نيداو سنة ٤٥٣ م تمكنت الشعوب الجرمانية من هزيمة أبناء" اتيلا" هزيمة ساحقة .

الواندال والامبراطورية الرومانية : عندما نقلب كتب التاريخ فاننا نرى أن الواندال ينتسبون الى الشعوب الجرمانية الشرقية التى غادرت ساحل البحر البلطى قبل تحرك القوط .وفى أواخر القرن الاول الميلادى ظهر الواندال كاحدى القبائل الجرمانية القوية حيث كانوا يعيشون فى الجزء الاوسط والشرقى من بروسيا ، ولكنهم ما لبثوا أن نزحوا من هناك ، بسبب هزيمتهم هزيمة ساحقة على يد قبائل اللانجوباردى (اللومبارديين) ، فتقدموا جنوبا الى المنطقة الواقعة بين سيليزيا وبوهيميا.وفى سنة ١٦٦ م ، وبسبب الاضطرابات التى أحدثتها حرب قبائل الماركونى ، اتجهت قبائل الواندال الاسدنج صوب الجنوب الى هنغاريا ، فى حين ظلت قبائل السيلنج بسيليزيا .

الفصل الثالث " دولة الفرنجة "

أولا : الدولة الميروفنجية: تنتسب الدولة الميروفنجية الى ميروفيتش الذى تولى حكم الفرنجة سنة ٤٤٨ م ، بعد وفاة شلوجيو .ومما هو جدير بالذكر أن تاريخ الدولة الميروفنجية يبدأ مع اعتلاء كلوفس عرش دولة الفرنجة الساليين ٤٨١م .

أهم مظاهر ضعف الملوك الميروفنجيين مما هو جدير بالذكر، أن، من أهم مظاهر ضعف ملوط الميروفنجيين؛ فى هذه الاقسام الثلاثة، ازدياد نفوذ النبلاء ورجال الدين ، وبسبب ذلك لم يكن أمام هؤلاء الملوك سوى التنازل عن حق تعيين الاساقفة، وذلك بهدف قيام الاساقفة بانتخابهم ، كما وافق الملوك على عدم محاكمة رجال الدين أمام محاكم الدولة .

ظهور منصب رئيس البلاط في دولة الفرنجة : ولقد حدث آنذاك تطورا كبيرا فى الشئون السياسية لدولة الفرنجة ، تمثل فى أن نبلاء أوسترسيا اختاروا لزعيمهم وظيفة رئيس البلاط فى القصر الملكى ؛ وكان الهدف من ذلك هو الحفاظ على امتيازاتهم .

ملوك دولة الفرنجة ما بين عامى ٤٨١-٦٣٨م: داجوبرت الاول (٦٢٨ – ٦٣٨ م)

١-قوى استحكامات الجبهة الشرقية ٢-تمكن من إخماد الثورات التى سادت دولته٠

٣- وعقد فى سنة ٦٣١م صلحا مع الامبراطورية البيزنطية ، وزيادة على ذلك اهتم اهتماما كبيرا ببناء الاديرة .

فى ذلك يقول التاريخ انه عند وفاة داجوبرت سنة ٦٣٨ م ، اعتلى ابنه سجبرت الثالث (٦٣٨ – ٦٥٦ م) عرش الدولة الميروفنجية فى أوستراسيا ، ولأنه كان فى الثامنة من عمره فقد سيطر رئيس البلاط على دفة الامور هناك ، حتى بعد وصول سجبرت سن الرشد ، ولم تكن نستريا أسعد حظاً من أوستراسيا لأن كلوفس الثانى أخ سجبرت الثالث ، الذى تولى عرش نستريا كان فى السادسة من عمره، فتولت والدته الوصاية عليه.

أبروين رئيس بلاط نستريا والحرب الاهلية بين نستريا وأوستراسيا: يسجل لنا التاريخ أن أبروين كان من اشد الطغاة فى عهده، فقلبه لم يعرف الرحمة والشفقة، غير ان نبلاء هذه المملكة قاموا بتنصيب بيبين الثانى (الصغير) الذى عرف ببيبين هرستال، رئيسا لبلاط مملكتهم٠وتتصاعد اعمال القتال بين نستريا وأستراسيا، وتهزم قوات الاخيرة فى معركة لافو ، ولكن أبروين ما لبث أن اغتيل فى سنة ٦٨١م، ومن ثم فقد نتج عن ذلك زوال سيادة نستريا وعودة سلطة أوستراسيا مرة أخرى ، حيث بعد حرب أهلية مريرة استمرت سبع سنوات، جاءت معركة تسترى ٦٨٧ م، والتى انتصرت فيها أوستراسيا على نستريا.

بيبين رئيس للبلاط في الدولة الميروفنجية كلها :أصبح بيبين الثانى رئيسا للبلاط فى الدولة كلها ، فاتخذ متز مقرا له. ولقد استمر رئيسا للبلاط حوالى سبعة وعشرين عاما ، من ٦٨٨ حتى ٧١٥م ، وخلال هذه الفترة الزمنية بذل الرجل كل ما فى وسعه

الأعمال التى قام بها بيبين الثانى فى الدولة الميروفنجية :

١-فقضى على الثورات ٢- اوقف الحروب الاهلية ٠٣- أعاد الدولة الى حدودها القديمة – أيام داجوبرت الاول -

٤-حارب بكل شراسة الفريزيين، الذين هاجموا وادى الشلد، والميز ، من مصب نهر الراين.

٥-وقاتل الاليمانى ايضا على طول نهر الراين ، حتى اجبرهم على الاعتراف بالتبعية له.

شارل مارتل والدولة الميروفنجية :" ، فشبت الحرب الاهلية من جديد بين أوستراسيا ونشتريا، ولكن نهايتها كانت فى صالح شارل مارتل ، الذى فقام بالآتى: أولا: طرد السكسون، الذين طمعوا فى اراضيه٠ثانيا : أعاد غرب فريزيا ، المعروف حاليا بمنطقة ريلاند وجنوب هولندا٠ثالثا : اشتبك فى قتال عنيف مع الاليمانى والبارثيين٠

شارل مارتل وعبد الرحمن الغافقى :عند هذه النقطة وجد شارل مارتل نفسه فى وضع يحسد عليه، فهو امام خطر جسيم ربما يقتلعه هو الاخر ، ومن ثم راح يستعد للمعركة مع عبدالرحمن الغافقى ، فاستدعى اتباعه من النبلاء وغير النبلاء بقواتهم، وطلب المعونة من اللمبارديين فى ايطاليا، هاجم عبدالرحمن بكل قواته .

والسؤال ، ما النتائج التى ترتبت على موقعة تور – بواتيه ٧٣٢م؟ :

أولا : أضفت هذه الموقعة على شارل قوة ومكانة سامية اكسبته لقب مارتل أى المطرقة . ثانيا : كفلت هذه الموقعة الخلاص والحماية لمملكة الفرنجة من خطر المسلمين. ثالثا :بل كما قال بعض المؤرخين ، اوقفت زحف المسلمين فى الغرب الاوربى رابعا: عودة أودو دوق أكوتين لامتلاك بوردووتولوز .

وكانت اسباب الجفوه: أولا :استيلاء شارل مارتل على بعض الاملاك الكنيسة واعطائها لاتباعه . ثانيا : تعيين مساعديه فى الاسقفيات الشاغرة . ثالثا : رفضه مساعدة البابا جريجورى الثالث ضد اللمبارديين .

ولكن هذه الفجوة لم تستمر طويلا ، اذ توفى شارل فى ٢١ أكتوبر ٧٤١م ، بعد أن قسم بيبين الثالث والبابوية : وقد دانت لبيبين القصير (الثالث) رئاسة البلاط فى المملكة الميروفنجية بين سنتى ٧٤١ ، ٧٦٨ م . ومن ثم عمل على اصلاح ذات البين بين دولته والبابوية ، فعقد الصلح مع الكنيسة سنة ٧٤٤م .

ثانيا : الدولة الكارولنجية ٧٥١- ٩١١م ذهبت دولة الفرنجة الاولى أو الدولة الميروفنجية الى ذمة التاريخ والآن نعيش الدولة الكارولنجية فترة أخرى من الزمن لنلقى الضوء على ما قام ملوكها من أمراء البلاط فى الفترة من ٧٥١ وحتى ٩١١م .

الأعمال التى قام بها بيبين الثالث (القصير) :واول ما يقابلنا من هؤلاء الملوك هو " بيبين القصير " الذى دام حكمه حوالى سبعة عشر عاماً ، من ٧٥١ الى ٧٦٨ م ، قام خلالها بالعديد من الاعمال، التى مكنت الدولة الفرنجية الثانية فى الارض .

١-قيامه بحملتين ضد اللمبارديين فى ايطاليا، وفيها تمكن من الاستيلاء على الاراضى التى استولى عليها اللمبارديون من الامبراطورية البيزنطية هناك واعادها الى البابوية وكنيسة روما. وأولى هذه الحملات كانت فى سنة ٧٥٤م، والثانية سنة ٧٥٦م، وكانت نتيجتها اجبار استولف الملك اللمبارى على احترام البابوية .

٢- كما دخل بيبين فى حرب ضارية مع المسلمين فاستولى منهم على سبتمانيا شمالى ناربون. وفى سنة ٧٥٩ م تقدم على رأس قواته ضد مدينة ناربون ٣- وحارب بيبين ايضا دوقية أكوتين واخضعها لنفوذه وربطها بالتاريخ الفرنجى سنة ٧٦٧ م .

٤- وحارب السكسون، وكسر شوكتهم، ولكنه لم يتمكن من اخضاعهم لنفوذ دولة الفرنجة.

، انتقل الى ربه فى ٢٢ سبتمبر سنة ٧٦٨ م بكنيسة سانت دنيس St. Denis قرب باريس .

الامبراطور شارلمان

نبذة عن شارل :

- كان شارل فى التاسعة والعشرين من عمره ، اشتهر بالجسارة ، والحزم ، والمهارة السياسية ، وسعة الافق ، ودقة الذاكرة، ورغم ذلك مال الى اللهو وحياة العبث.

–لم يكد شارلمان يقضى فى الحكم سوى قليلا حتى بدأت حروبه الخارجية. ويحكى التاريخ أن الرجل قد قاد أربع وخمسين حملة طول عهده نجح بفضلها فى تحقيق جانب كبير من خططه الامنية والتوسعية ، كما اكتسب شهرة فائقة ومكانة مرموقة فى أنحاء اوروبا. ولقد كانت هذه الحروب على النحو التالى :

حروبه ضد اللمبارديين : لماذا ؟للاسباب الاتية :

أولا : إن اصول الخلاف بين دولة الفرنجة واللمبارديين كانت قديمة . ثانيا : السبب المباشر هو أنه عندما أغفل شارلمان حقوق ولدى كارلومان القاصرين فى ملك ابيهما فرت أمهما الى بلاط ديذيداريوس الملك اللمبارى فى بافيا بايطاليا.ولكن ما أدى الى اشتعاله أكثر أن شارلمان كان قد سبق له الزواج من ابنه ديذيدرايوس فطلب من البابا ستيفن الثالث (٧٦٨- ٧٧٢م) تتويج ابنى كارلومان ، ولكن البابا رفض ، وعند ذلك هاجم ديذيداريوس الاملاك والاراضى البابوية، الامر الذى دفع ستيفن الى الاستنجاد بشارلمان ملك الفرنجة .

دراما تتويج شارلمان من قبل البابوية ٨٠٠م : أن بابا روما ليو الثالث (٧٩٥ – ٨١٦م)، اتهم من قبل الشعب الرومانى بسوء التصرف ، والحنث بالايمان ، وبيع الوظائف الدينية ، وارتكاب الموبقات ، وعندما وصلت هذه الاحداث الى مسامع

شارلمان، أرسل الى البابا الهارب يستدعيه اليه حيث استقبله استقبالا حافلا ، ، ثم ارسله الى روما وسط حراسة مشددة، وفى خريف سنة ٨٠٠ م لحق. وفى روما عقد مجمع دينى برأ البابا ليو الثالث من جميع التهم التى كان قد اتهم بها.

ومن ثم ، فإنه فى الاحتفال المهيب الذى أقيم بكنيسة القديس بطرس، فى ٢٥ ديسمبر ٨٠٠ م ، للاحتفال بعيد الميلاد المجيد. وعند ذلك هتف المصلون فى صوت واحد يعيش شارل أغسطس العظيم ، النتائج التى ترتبت على تتويج شارلمان :

أولا: إن مسالة تتويج شارلمان كانت خطيرة بالنسبة له ، حيث يقال أنه فؤجى بهذا الاجراء.

ثانيا : بالنسبة الى البابوية فان خطورة هذا الحدث تمثلت فى قطع ما تبقى من خيوط واهية كانت تربطها ببيزنطية (الشرقية)

ثالثا :ان الطريقة التى تم بها تتويج شارلمان جعلت التاج الامبراطورى يبدو فى صورة منحة.

رابعا :اما فيما يخص الامبراطورية البيزنطية : فان تتويج شارلمان امبراطورا فى الغرب الاوربى جاء صدمة عنيفة اليها .

خامسا : وبخصوص الغرب الاوربى فان شارلمان – بتتويجه امبراطورا – يكون قد أحيا الامبراطورية الرومانية فى الغرب.

ثانيا : حروب شارلمان ضد السكسون : أهداف حروب شارلمان ضد السكسون :

١- تأمين حدود دولته من ناحيتهم ٢٠- ايقاف غاراتهم على تلك الحدود٣٠-اخضاعهم بقوة السلاح٠- تحويلهم الى المسيحية.

لماذا كانت حروب شارلما ضد الكسون صعبة وخطيرة ؟: اولا : صعوبة بلادهم ذات الغابات والاحراش، وعدم وجود مدن أو معاقل وحصون . ثانيا : عدم وجود طرق ومسالك يمكن أن تسير فيها قوات شارلمان . .

إخضاع شارلمان للسكسون : ساعدت اوضاع السكسون على أن يظهروا عنادا لا حد له، وتمسكا شديدا بتقاليدهم، وعاداتهم ، وعقائدهم ، وليس أدل على ذلك ، من أنه فى كل مرة كان يخضعهم فيها شارلمان ويأخذ منهم الرهائن، كان يتظاهرون بالخضوع ويعتنقون المسيحية باعداد كبيرة.

أقدم الرجل فى سنة ٧٨٢ ميلادية على أحداث مذبحة رهيبة بهم فى فردان مذبحة فردان – أعدم فيها يومها أربعة آلاف وخمسمائة أسير دفعة واحدة فانهم ظلوا على إخلاصهم القديم لألهتهم، لوانتان إله الغابات، الذى كان أقرب اليهم من المسيح ".

ثالثا : حروب شارلمان ضد الافار كان الآفار رعاة كاسلافهم من الهون ، وكان فرسانهم مصدر رعب وخطر لجميع شعوب المنطقة الواقعة بين البلطيق وشبه جزيرة المورة ، وذلك لمدة قرنيين من الزمان ، كما كانوا مصدر خطر على حدود شارلمان.

رابعا : حروبه ضد المسلمين : اسباب حروب شارلمان ضد المسلمين :أولا : تأمين شارلمان لحدوده الجنوبية ضد مسلمى أسبانيا. ثانيا : إفراغ حصيلة هائلة من الكراهية للمسلمين والعداء لدولتهم والظهور بمظهر المدافع .ثالثا : نجاح أساقفة طليطلة فى استثارة العداء الدينى والروح الصليبية لشارلمان ضد المسلمين رابعا : لجوء سليمان والى برشلونة اليه ، وطلب مساعداتهم ضد الخليفة الاموى عبدالرحمن الداخل ، وكان سليمان قد أرسل سفارة الى شارلمان سنة ٧٧٧م ، طالبا تدخله العسكرى .

الامبراطورية الكارولنجية بعد شارلمان : توفى شارلمان سنة ٨١٤ م فى مدينة آخن ، بعد أن أرسى قواعد إمبراطورية متماسكة وقوية ، ولكنها سرعان ما دخلت مرحلة التقسيم ثم الاضمحلال بعد نهاية عهده ٠ذلك أنه طبقاً لسياسة ملوك الفرنجة فى تقسيم دولتهم ، قسم شارلمان امبراطوريته بين أولاده الثلاثة: ولكن وفاة اثنين منهما فى حالة حياته ، أجل تفتيت الامبراطورية لبعض الوقت، اذ ظلت تحت حكم امبراطور واحد هو الملك " لويس التقى " من سنة ٨١٤ م حتى سنة ٨٤٠م .

تقسيم لويس التقى لإمبراطوريته بي أولاده :كان أول عمل قام به لويس هو تقسيم ملكه بين اولاده الثلاثه، فجعل أكبرهم شريكا له فى الحكم ووريثا له فى سلطانه، وجعل الاخرين تابعين له . ولكن هذا التقسيم أعيد مرة ثانية بسبب زواج الرجل وإنجابه طفلاً، وكانت النتيجة قيام الحروب الاهلية وبين أولاده حتى وفاته سنة ٨٤٠ م

اتفاقية فردان Verdan سنة ٨٤٣م .

أولا:أخذ شارل الاصلع اقليم نوستريا وأكوتين والماركية الاسبانية٠ ثانيا : اما لويس فقد أخذ الجزء الالمانى من دولة أبيه ٠

ثالثا : فى حين أخذ لوثير الجزء الاوسط بين المملكتين .

الفصل الخامس النهضة فى فرنسا

النهضة في فرنسا : كلمة النهضة بمعناها الضيق تدل على حركة بعث أو احياء التراث القديم، وبمعناها الواسع تعبير عن تحرر العقل الإنساني من قيود العصور الوسطى وشعور الفرد بحريته في التفكير والتعبير، وظهرت خلال القرنين (١٤، ١٥م)، وظهرت في أول أمرها في ايطاليا. وكانت فرنسا تمر في تلك الآونة بفترة صعبة ولكنها أصبحت أكثر تقبلا للفن للنهضة بعد الحروب الإيطالية ١٤٩٤م لعدة اسباب منها:

١- تشجيع ملوك فرنسا عددا من العلماء الإيطاليين والبيزنطيين على المجيء إلى باريس لتدريس اللغات اللاتينية واليونانية.

٢-أدت الحروب الايطالية إلى زيادة عدد الكتب زيادة كبيرة نتيجة نقل كميات ضخمة من الكتب من ايطاليا إلى فرنسا

٣- حركة الترجمة التى أضافت إلى المكتبات الملكية عدد كبير من كنوز الأدب الدينى وأدب الفروسية.

-مظاهر النهضة فى فرنسا وسماتها: فى العناية بالعمارة ودراسة القانون الرومانى، من الفقيه القانونى جاك كوجاز، أما فى جانب الآداب فهناك الأديب أنطوان دى لاسال، والشاعر فرنسوا فللون الذى كان له تأثيره على الشعر الفرنسي الحديث، وفى علم التشريح فرانسوا رابليه الذى كان أول من خالف أمر البابا وشرح جثة إنسان.

الكشوف الجغرافية الفرنسية :

-كانت الكشوف الجغرافية من تداعيات عصر النهضة، والحقيقة أن فرنسا قد دخلت ميدان الكشف الجغرافى متأخرة عن البرتغال وأسبانيا وهولندا وانجلترا، قد وجهت فرنسا جهودها الكشفية صوب أمريكا الشمالية من اجل البحث عن طريق شمالى غربي يؤدى إلى المياه الأسيوية ففى عام ١٥٢٤ استطاع (جيوفانى دى فيرازانوا) استكشاف الشاطيء الشرقى لأمريكا الشمالية.

-أما كارتييه فهو بريطانى كلفه الملك فرانسوا الأول بالبحث عن الذهب في بعض جزر الأطلنطى واكتشاف ممر أو مضيق يؤدى إلى الصين؛ غير أنه اكتشف كندا، ولكن محاولة استيطانها أخفقت بسبب عداء الهنود والبرودة القارصة

الإصلاح الدينى في فرنسا :

-بدأت المذاهب الدينية الجديدة (وخاصة الوثرية) في الانتشار في فرنسا مع عهد فرانسوا الأول، ومع أن ملك شجع هذه الحركة في باديء الأمر الا أنه مع عام ١٥٢٨م تحول إلى سياسة اضطهاد البروتستانت، وفى عام ١٥٣٥م رفع اليه يوحنا كلفن رسالته المشهورة، كما نشر الاخير كتابه عن "تعاليم الدين المسيحى" حيث لقيت كتاباته أذانا صاغية من المواطنين الفرنسيين.

الفصل السادس: السياسة الخارجية لفرنسا (١٨٧٠ – ١٩٤٦)

اولا: سياسة بسمارك وعزل فرنسا (١٨٧٠ – ١٨٩٠م) :

-استهدف سياسة "بسمارك" الخارجية المحافظة على ما كسبته ألمانيا بعد هزيمة فرنسا، ويمكن أن نلخص سياسة "بسمارك" في تلك الفترة إلى: أولا : اتجاه إلى عزل فرنسا وعدم اتصالها مع أى قوة أوربية؛ فعقد عدة محالفات موجهة ضدها، منها عصبة الأباطرة الثلاثة عام ١٨٧٢ ، والتحالف الثنائى عام ١٨٧٩م، ثم تكوين التحالف الثلاثى عام ١٨٨٢.

– ثانياً: اتجه "بسمارك" الى تشجيع الدول الأوربية ومن بينها فرنسا على الاندماج في الحركة الاستعمارية بينما استطاع أن يبعد ألمانيا عن المساهمة في الحركة،" وبالتالى يؤدى ذلك الى ضعف القوة العسكرية لهذه الدول.

ثانيا: فرنسا والخروج من العزلة (١٨٩٠ – ١٩٠٤) :

-ما كاد "بسمارك" يبتعد عن مسرح السياسة الألمانية عام ١٨٩٠ حتى تغير الموقف الدولي تغيرا كبيرا، ومن ثم استطاعت فرنسا الخروج من عزلتها وذلك بقياسها بتحالف مع روسيا، وقيام اتفاق ودى بينها وبين انجلترا .

١- التحالف الفرنسى الروسى (١٨٩١ – ١٨٩٣)

– ساعدت عوامل عديدة على اتمام الاتفاق بين الدولتين منها : ١- روسيا تعانى بشدة من التخلف الصناعى والحاجة الشديدة الى المال ووجدت ذلك في فرنسا. ٢-كانت روسيا تعيش في عزلة قاتلة ومكروهة من كافة الدول الأوربية. ٣- التقارب النفسى بين الدولتين ٤-وجدت فرنسا في روسيا حليفا يمكنها أن توازن به كفة الدولتين الأوربيتين الوسطتين (ألمانيا والنمسا) .

-عقد هذا التحالف فى أغسطس ١٨٩١ وكان من شروطه :١- إذا هوجمت فرنسا من جانب ألمانيا أو من جانب ايطاليا بمساندة ألمانيا فإن فرنسا توجه الى الحرب ١.٣ مليون جندى، ومن روسيا ومن ٧٠٠ ألف الى ٨٠٠ ألف جندى. ٣- تتشاور هيئتا أركان حرب البلدين دائما فيما يجب اتخاذه لتنفيذ هذه الاجراءات ٤- لا تعقد فرنسا أو روسيا صلحا منفردا . ٥- يستمر هذا الاتفاق ما دامت المحالفة الثلاثية قائمة.

٢- الاتفاق الودي بين فرنسا وانجلترا عام ١٩٠٤م :

- بدأت انجلترا منذ مطلع القرن (٢٠) تتبع سياسة جديدة تقوم على مبدأ التقارب من المحالفات الأوربية، ولذلك نجدها تتقارب من فرنسا وروسيا رغم التنافس الاستعمارى الشديد بينهم في الماضى . وقد ساعدت عوامل على التقارب الفرنسى البريطانى، منها : ١- الخطر الذى يهدد الحكومتين ازاء ظهور قيصر ألمانيا الجديد "وليم الثانى" الذى ظهر فجأة في السياسة الاستعمارية. ٢- نهوض ألمانيا وازدياد قوة أسطولها ونزعتها الى الفتح الاستعمارى .

-وبعد مفاوضات عديدة بين الدولتين تم الاتفاق فى ٨ أبريل عام ١٩٠٤م فيما عرف باسم "الاتفاق الودى" وكان من بين شروطه : - أن كلا منهما لا تنوى تغير الحالة السياسية (انجلترا) في مصر، و(فرنسا) في مراكش، وكان هذا الاتفاق اتفاقا استعماريا حسم الى حد كبير المنافسات الاستعمارية بينهما.

ثالثا: فرنسا والأزمات السياسية التى سبقت قيام الحرب العالمية الأولى ١٩٠٥ - ١٩١٤م :

-انقسام العالم الى معسكرين أصبح هناك نوع من التوتر ظهر في شكل أزمات سياسية، ولذلك يطلق على الفترة (١٩٠٥ - ١٩١٤) فترة الأزمات السياسية التى سبقت قيام الحرب العالمية الأولى. وتنقسم هذه الأزمات إلى قسمين: القسم الأول : الازمات المراكشية. والقسم الثانى : الأزمات البلقانية، وأطرافها النمسا وروسيا وهما ينتميان أيضا الى معسكرين مختلفين .

- القسم الأول : الازمات المراكشة:

-لم تكن أزمة واحدة بل سلسلة من الأزمات، وترجع الى اتجاه فرنسا للسيطرة على مراكش استكمالا لسلسلة مستعمراتها في شمال أفريقيا، وكانت فرنسا قد استطاعت عام ١٩٠٢ عقد تسوية استعمارية بينها وبين ايطاليا. وفى عام ١٩٠٤ عقدت الاتفاق الودى مع انجلترا ، كما اتفقت مع أسبانيا على تقسيم مراكش بحيث "تتنازل عن منطقة الريف المواجهة للساحل الأسبانى في مراكش"، وبذلك لم يبق أمام فرنسا سوى معارضة ألمانيا والتى تعمل على منع فرنسا من بسط سيطرتها علي مراكش.

مؤتمر الجزيرة عام ١٩٠٦ :

-بدأت الأزمات المراكشية في ٣١ مارس ١٩٠٥ حينما توجه القيصر "ويليم الثانى" الى ميناء طنجة وألقى خطابه عن استقلال. ثم اقترح الامبراطور في ١١ أبريل عام ١٩٠٥ عقد مؤتمر لبحث المسألة المراكشية.

-عقد المؤتمر في ١٦ يناير ١٩٠٦ بالجزيرة الخضراء، وقد حضره مندوبو ١٢ دولة، وكان غرض ألمانيا ابعاد فرنسا عن مراكش ومنعها من تنظيم الشرطة هناك، وكذلك جس نبض الوفاق الودى بين انجلترا وفرنسا.

- ظهر في المؤتمر مدى عزلة المانيا، فقد لقيت فرنسا التأييد من روسيا وانجلترا وأسبانيا، وايطاليا، والولايات المتحدة، ولم يقف فى صف ألمانيا سوى النمسا، وقد أتت قرارات المؤتمر في صالح فرنسا حيث تقرر :

١- أن يعهد الى كل من فرنسا وأسبانيا بتكوين قوة بوليسية تحت اشرافهما لحماية السلطان المراكشي. ٢- تأسيس بنك تشرف عليه الدول الأربع (فرنسا - ألمانيا - انجلترا - أيطاليا). ٣- أصبح لفرنسا وحدها إدارة شئون الجمارك في الجزء المجاور لبلاد الجزائر، وتدير أسبانيا ما يوجد منها في منطقة الريف. وبذلك خرجت ألمانيا من مؤتمر الجزيرة فاشلة.

-حادث أغادير (١٩١١م) :

- ازداد التدخل الفرنسى في مراكش، خاصة عندما استنجد سلطان مراكش "مولاى عبد الحميد" بفرنسا بسبب ثورة أحد الأمراء ضد، فأرسلت فرنسا حملة حربية إلى فاس عام ١٩١١م ، ردت ألمانيا على ذلك فأرسلت طرادا ألمانيا إلى أغادير بحجة حماية المصالح الألمانية التجارية، وكانت تقصد القيام بمظاهرة بحرية ردا على أطماع فرنسا في مراكش، وكادت هذه الأزمة بالفعل أن

تحدث صدام بين فرنسا وألمانيا ولكنها حلت في اللحظة الأخيرة على أن: "تتنازل فرنسا لألمانيا عن بعض مستعمراتها في الكونغو الفرنسية في مقابل تسليم ألمانيا بالاحتلال الفرنسي لمراكش الذى تحقق في العام التالى ١٩١٢م .

- رابعا: فرنسا والحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) :

–قامت الحرب العالمية الأولى على أثر قيام حادث اغتيال وريث العرش النمساوى على يد طالب متطرف من أهل البوسنة في مدينة سيرابيفو. وعرف حادث الاغتيال باسم حادث سرابيفو، وبدأت بإعلان النمسا الحرب على صربيا، وتحول الصراع الى صراع أوربى حين أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا، وردت فرنسا بإعلان الحرب على ألمانيا، ثم تدخلت انجلترا مع فرنسا.

–وقعت عدة حوادث هامة داخل الدول المتحاربة منها فى فرنسا حيث تولت فيها عدة وزارات ضعيفة قصيرة العمر، حتى تولى عام ١٩١٧ رئاسة الوزراء "جورج كليمنصو" الذى أعاد لفرنسا وحدتها الوطنية، وقد لخص سياسته في قوله : "ان سياستى الداخلية أن أحارب وسياستى الخارجية "، وقد انتهت الحرب باستسلام ألمانيا وهزيمتها.

- خامسا: فرنسا فى مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩" :

-بعد استسلام دول الوسط المانيا والنمسا دعى الحلفاء الى عقد مؤتمر للصلح في يناير ١٩١٩م في باريس برئاسة "كليمنصو" رئيس الوزراء الفرنسي، واختار الحلفاء باريس لتكون مقرا لمؤتمر الصلح، وكان تقدير الحلفاء لاختيار باريس لعقد هذا المؤتمر لعدة أسباب منها : **١**- أن فرنسا عانت الكثير من أضرار هذه الحرب.**٢**– حتى يستطيع الرئيس الأمريكي "ولسن" الحضور وكانت باريس تعج بالقوات الامريكية.**٣**– حتى يتمكن "كليمنصو" رئيس الوزراء الفرنسي من تولى رئاسة المؤتمر.

–حضر المؤتمر وفد الدول المنتصرة من الحلفاء والدول المشاركة في الحرب، أما اقطاب المؤتمر فهم اربع رجال:"كليمنصو" رئيس الوزراء الفرنسى، "لويد جورج" رئيس الوزراء البريطانى، "ولسن" الرئيس الأمريكي، "أورلندو" رئيس الوزراء الايطالى.

– أما عن الدور الفرنسى في هذا المؤتمر فقد تولى الرئاسة فيه كليمنصو رئيس وزرائها باعتبار أنه يمثل الدولة المضيفة والأكبر سنن، وكان قد عاصر الحرب السبعينية بين فرنسا وألمانيا، لذلك كان يميل إلى استعمال القوة مع المانيا، وقد حاول بكل جهده أن يتبع المذهب القائل "الحق للقوة"، وفي هذا المؤتمر أثبت "كليمنصو" قدرته الفائقة على تفهم المشكلات الأوربية، وبذلك نستطيع القول أن تسويات الصلح كانت من مخططاته .

–من أهم نتائج الحرب العالمية تشكيل منظمة عالمية لرعاية السلام وحل المشاكل بين الدول بالطرق السلمية هى عصبة الامم.

الفصل السابع : العلاقات السياسية الألمانية الفرنسية

أولا: مؤتمرات الحرب العالمية الثانية

–مع فجر أول سبتمبر ١٩٣٩ زحفت القوات الألمانية عبر الحدود الألمانية البولندية مفتتحة الحرب العالمية الثانية، فأعلنت بريطانيا ثم فرنسا الحرب على ألمانيا، وقد القوات الألمانية باريس في ١٤ يونيو ١٩٤٠. وتولى بيتان رئاسة الوزارة الفرنسية وعقد الهدنة مع ألمانيا في ٢٢ يونيو ١٩٤٠ واتخذت الحكومة الفرنسية من فيشي مقرا لها، واصبح بيير لافال رئيساً للحكومة. غير أن الجنرال شارل ديجول أعلن من إذاعة لندن قيام حكومة وطنية عرفت بحكومة (فرنسا الحرة).

– كان إعلان هتلر الحرب على الولايات المتحدة بعد ٤ أيام من ضرب اليابان ميناء بيرل هاربر، السبب المباشر فى ظهور التحالف الكبير، الذى تكون من بريطانيا برئاسة تشرشل، والولايات المتحدة برئاسة روزفلت، الاتحاد السوفيتي بزعامة ستالين.

–حدد ستالين فى ديسمبر ١٩٤١ مطالب الاتحاد السوفيتى من الحرب بإعادة نفوذه إلى الدول المطلة على بحر البلطيق، وتحديد الحدود الروسية البولندية.

– اتفق الحلفاء على التعامل بقسوة مع ألمانيا. واجتمعا تشرشل وروزفلت الامريكي بالدار البيضاء فى يناير ١٩٤٣ ، وأعلن أن الحلفاء يريدون من ألمانيا وإيطاليا واليابان "استسلام غير مشروط ".

- مؤتمر طهران (٢٨ نوفمبر – ١ ديسمبر) ١٩٤٣ التقى فيه ستالين مع وروزفلت وتشرشل، وناقش المؤتمر أولا: استراتيجية الحلفاء خلال الفترة المتبقية من الحرب، وثانيا: الشكل المستقبلي لأوروبا، وتم الاتفاق مبدئيا على حدود بولندا، كما اتفق بشكل مبدئيا على تقسيم ألمانيا إلى دويلات صغيرة، خمسة أجزاء، بينما أو ثلاث دول.

–اشتدت مقاومة القوات الألمانية مع تقدم جيوش الحلفاء نحو الأراضي الألمانية، خصوصاً على الجبهةِ السوفيتية، وفي يونيو ١٩٤٤م بدأ الهجوم على شواطئ نورماندي الفرنسية من قبل قوات مشتركة بريطانية وأمريكية وكندية، وبعد معارك ضارية دخلت القوات المتحالفة إلى باريس في ٢٥ أغسطس ١٩٤٤، بصحبة شارل ديجول بعد أن تكبدت ألمانيا خسائر فادحة.

–قام ديجول بتشكيل حكومة مؤقتة ألقت القبض على بيتان وحكم عليه بالسجن مدى الحياة. أما بيير لافال فقد هرب في أبريل ١٩٤٥، وألقت القوات الأمريكية القبض عليه وحكم عليه بالإعدام بتهمة الخيانة العظمى في أكتوبر ١٩٤٥.

– وفي وقت مبكر من عام ١٩٤٤، بدأت المواقف الغربية تجاه ألمانيا فى التحول، حيث أصبح من الواضح أن العلاقات مع موسكو قد تتدهور بعد الحرب، فطالبت لندن بعودة الحياة لألمانيا مرة أخرى، لحاجة أوروبا الماسة إلى ألمانيا المستقرة للمساعدة فى كبح جماح الاتحاد السوفيتي، وطالب بعض الاشتراكيين الفرنسيين، بإقامة علاقات صداقة وتكامل مع ألمانيا.

-مؤتمر يالتا : عقد اجتماع لثلاثة الكبار خلال الفترة (٤ – ١٢) فبراير ١٩٤٥ في منتجع يالتا، وقد افتتح المؤتمر في ظل واقع أليم – بالنسبة لكل من روزفلت وتشرشل – تمثل في احتلال الجيش السوفيتي لكل دول شرق أوروبا، وناقش المؤتمر المسألة الألمانية ، وصدّقوا على الوثائق التي أعدتها اللجنة الاستشارية الأوروبية الخاصة بتقسيم ألمانيا إلى ثلاث مناطق احتلال، وتقسيم برلين أيضا إلى قطاعات ثلاثة، كما وناقش المؤتمر أيضا موقف فرنسا من قضية احتلال الأراضى الألمانية وقد وافق ستالين وروزفلت على أن يكون لفرنسا نصيب فى مناطق الاحتلال تؤخذ من منطقتى الاحتلال البريطاني والأمريكي، بالإضافة إلى ضرورة إسهام فرنسا" كعضو رابع فى لجنة الإشراف الحليفة".

– انتهت الحرب عقب مؤتمر يالتا وشقت جيوش الحلفاء طريقها عبر الأراضِى الألمانيةِ مِنْ الشرق والغرب، ورغم هزيمة ألمانيا واحتلالها فلا تزال تواجه الحلفاء هناك قضايا شائكة .

– **مؤتمر بوتسدام** (١٧ يوليو – ١ أغسطس) ١٩٤٥، انعقد لكي يحدد مستقبل ألمانيا وأوربا، والحرب في الشرق الأقصى مع اليابان، وحاول تشرشل خلال المؤتمر الضغط على كل من هاري ترومان–الرئيس الامريكي الجديد– وستالين لتقريب وجهات النظر بينهما حتى لا ينهار التحالف الكبير.

–استحوذ الصراع حول الحدود الألمانية البولندية على مُعظم جلسات المؤتمر، فقد طالب ستالين بخَطِّ أودر – نيسي، وكانت نقطة الخلاف الأخرى هى التعويضاتِ السوفيتيةِ مِنْ ألمانيا، فقد طالب ستالين بـ٢٠ بليون دولار؛ فخيره ترومان بين التعويضاتِ وخَطِّ أودر – نيسي؛ فاختار الخط.

– خلال المؤتمر طالبت فرنسا بفصل "ريتانيا" عن ألمانيا نهائياً، ووضعها تحت الإشراف الاستراتيجي والسياسي لفرنسا وبريطانيا وبلجيكا وهولندا، إما بخصوص "السار" فقد طالبت بالانفصال الاقتصادي لهذا الإقليم، وقد أيدت ببريطانيا وأمريكا مطالب فرنسا بخصوص "السار" الذي طالما ارتبط ارتباطاً وثيقا باقتصاد فرنسا.

ثانيا: نشأة الجمهورية الفرنسية الرابعة

–بعد تحرير فرنسا، تم حل حكومة فيشي وتشكيل الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية، وقد سيطرت على الحكومة الثلاثية (التعددية الحزبية) هي وضع الحكومة (١٩٤٤ – ١٩٤٧)، وهو تحالف الثلاثي بين الشيوعيين والاشتراكيين والديمقراطيين المسيحيين، يمثلهم الحزب الشيوعي الفرنسي (PCF) والفرع الفرنسي للمنظمة العمالية الدولية (SFIO) والحركة الجمهورية الشعبية انصار ديجول (MRP). وبهذا ظهرت الديجولية والشيوعية باعتبارها القوى السياسية الأكثر شعبية في البلاد.

-تمت كتابة مسودة جديدة للدستور، وتم تأسيس برلمان من مجلسين وتشكلت الحكومة من البرلمان، وترأس ليون بلوم الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية. وبعد انتخابات يونيو ١٩٤٦، وتولى المسيحي الديمقراطي جورج بيدو رئاسة مجلس الوزراء، وقد وافق الفرنسيون على المسودة الجديدة بنسبة ٥٣% من الناخبين، ونتج عن ذلك تأسيس الجمهورية الرابعة في العام التالي، وهو نظام تكون فيه السلطة التنفيذية بشكل أساسي في يد رئيس المجلس. وتم إعطاء رئيس الجمهورية دورًا رمزيًا إلى حد كبير.

-انهار نظام الثلاثية (التعددية الحزبية) مع أزمة مايو ١٩٤٧ التي استبعدت فيها حكومة رامادير الوزراء الشيوعيين من المشاركة؛ وكان هذا الحدث هو الذي شكل بداية رسمية للحرب الباردة في فرنسا، ويمكن وصف أزمة مايو ١٩٤٧ بأنها نتيجة لرفض الشيوعيين مواصلة تقديم الدعم لاستعادة الاستعمار الفرنسي في فيتنام، بالإضافة إلى تجميد الأجور خلال فترة التضخم من ناحية أخرى، ومن هذه اللحظة كانت الجمهورية الرابعة تعاني من عدم الاستقرار البرلماني لأن اثنين من الأحزاب الأكثر شعبية في فرنسا، حزب "تجمع الشعب الفرنسي" الذي أسسه ديجول والحزب الشيوعي الفرنسي، ظلا على مقاعد المعارضة.

- ثالثا: ظهور ألمانيا الفيدرالية

-خلال السنة الأولى من الاحتلال واجه القطاع البريطاني من ألمانيا كارثة حقيقية؛ ووجدت لندن نفسها في مأزق خطير غدت معه غير قادرة على توفير الطعام لسكان منطقتها؛ فق بلغت نفقات الاحتلال في القطاع البريطاني في عام ١٩٤٦-١٩٤٧ ستتجاوز ٨٠ مليون جنيه إسترليني، ولا يمكن تخفيضها إلا عن طريق الترابط الاقتصادي بين مناطق الاحتلال.

-عقب شتاء عام ١٩٤٦ أرسلت بريطانيا لفرنسا والولايات المتحدة أنها لن تستطيع احتمال مواصلة استنزاف ما لديها من دولارات في شراء الأغذية لإطعام الألمان؛ فاضطرت الولايات المتحدة إلى تحمل الكثير من الأعباء البريطانية في ألمانيا، أما فرنسا فلم تكن تهتم كثيرا بالموقف المتردي فى القطاع البريطاني فكان الفائض لديها من المواد الغذائية يرسل إلى فرنسا.

-على ذلك فقد سعت بريطانيا إلى طرح فكرة إقامة دولة ألمانية متحدة منزوعة السلاح، وقد راقت الفكرة لوزير الخارجية الأمريكية بيرنز، فتبناها وعرضها في ١٦ يوليو ١٩٤٦ على مجلس وزراء الخارجية في باريس، فوافقت بريطانيا على الاقتراح، بينما رفضته فرنسا والاتحاد السوفيتي، فجرت محادثات انجلو-أمريكية حول الاندماج الاقتصادي لمنطقتيهما، وتم تطبيق الاندماج تحت اسم بيزون عاصمتها فرانكفورت؛ وقد تم ذلك التوحيد في الأول من يناير ١٩٤٧.

- حاولت الولايات المتحدة وبريطانيا استمالة فرنسا لإدماج منطقتها هى الأخرى معهما. وفي مجلس مراقبة الحلفاء عارضت فرنسا كل محاولة تهدف إلي إنعاش ألمانيا اقتصاديا.

- عقد اجتماع للدول الغربية في لندن فى ٢٣ فبراير ١٩٤٨ لبحث مستقبل ألمانيا وأوروبا، ولكى تقبل الدول الغربية الأخرى فكرة إنعاش الاقتصادي الألماني، والتخطيط لجعل الجزء الغربى من ألمانيا جزءا رسميا من نظام التحالف الأوروبي الأمريكى، وقسم مؤتمر لندن على مرحلتين، المرحلة الأولى (٢٣ فبراير - ٦ مارس) ١٩٤٨، والمرحلة الثانية (٢٠ ابريل - ٧ يونيو) ١٩٤٨ . اتفق الجميع على أن إنعاش الاقتصادي الألماني يؤدى إلى الانتعاش الأوروبى، غير أن جورج بيدو أصر على أن فرنسا لا تزال تخشى ألمانيا بقدر ما تخشى الاتحاد السوفيتي، وفى نهاية الجزء الأول من المؤتمر ضغطت الدول الغربية على فرنسا لربط منطقة احتلالها بالمناطق الغربية الأخرى، وظهرت المنطقة الثلاثية Trizonia فى ٨ ابريل ١٩٤٨.

-احتج الاتحاد السوفيتي رسميا لدى كل من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة على عقد مؤتمر لندن دون دعوتها؛ وعندما انتهى الجزء الأول من مؤتمر لندن فى ٦ مارس ١٩٤٨، قرر ستالين تحذير الغرب بالضغط على برلين.

- في ٣٠ مارس ١٩٤٨ أعلن الغرب المشروع الجديد لتعديل العملة الألمانية، وقد أثار ذلك حفيظة الاتحاد السوفيتي حيث كان ذلك تهديداً مباشرا لأمنها القومى.

- خلال مؤتمر لندن فى أبريل ١٩٤٨، ضغطت الولايات المتحدة وبريطانيا على فرنسا لإنشاء دولة ألمانية منزوعة السلاح. وفى الأول سبتمبر ١٩٤٨ تم عقد مجلس برلماني في "بون" مكون من ٥٥ عضوا لإعداد دستور لألمانيا، وكان رد فعل الاتحاد السوفيتي، أن قام بفرض الحصار على مدينة برلين فى يوليو ١٩٤٨ واستمر هذا الحصار لمدة عام.

–في ٨ مايو ١٩٤٩ تم إصدار الدستور الألماني تحت عنوان "قانون بون الأساسي"، وأصبحت ألمانيا جمهورية اتحادية، وجرت الانتخابات في ألمانيا، وانتخب الدكتور "كونراد أديناور مستشاراً، وأصبحت بون عاصمة لها. وقد رد الاتحاد السوفيتي علي ذلك في ٧ أكتوبر ١٩٤٩ بإعلان إنشاء جمهورية ألمانيا الديمقراطية في منطقة احتلاله، واتخذ من القطاع الروسي ببرلين مقراً لها. وهكذا عجل حصار برلين بإنشاء دولة ألمانيا الفيدرالية الاتحادية– عام ١٩٤٩ –.

– رابعاً: سياسة الجمهورية الرابعة تجاه ألمانيا

–عندما شكل ديجول الحكومة الفرنسية الانتقالية في نوفمبر عام ١٩٤٤ ، وصاغ سياستها قبل ألمانيا على أسس تضمن استمرارية وضعها المقسم وإحياء نظام الدويلات الألمانية المستقلة الذي سادها قبل أن يوحدها " بسمارك " عام ١٨٧٠.

–وترجمت الحكومة الفرنسية تلك الأسس في مطالب تقدمت بها إلى اجتماع وزراء خارجية الحلفاء المنعقد في أبريل عام ١٩٤٦حيث دعت إلى تدويل منطقة الروهر الألمانية والهبوط بحجم الإنتاج الألماني إلى الحد الأدنى، واحتلال دائم لمقاطعة ريناتي الألمانية. وكان لفرنسا هدفان من وراء مطالبها، أولهما إنشاء حزام حيادي عازل يتجه من الشمال إلى الجنوب يفصلها عن ألمانيا، وثانيهما إضعاف ألمانيا اقتصاديا بانتزاع إقليم السار الغني بالفحم، وتدويل منطقة الروهر الزاخرة بالخامات.

–بحكم تعارض المطالب الفرنسية الداعية إلى مزيد من التجزئة لألمانيا مع التخطيط الأمريكي فلقد رفضتها الحكومة الأمريكية وإن وافقت على ضم إقليم السار إلى فرنسا على سبيل التعويض الذى لحقها من خسائر نتيجة للعدوان النازي.

–مع تصاعد حدة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في مطلع الخمسينات تضاعفت الأهمية الاستراتيجية لألمانيا، كما انتعش اقتصادها إلى حد كبير بفضل مشروع مارشال وبحكم توجيه مواردها إلى ميدان الإنتاج الصناعي نظراً لتجميد نشاطها العسكري ، بينما انهار الثقل العسكري لفرنسا نتيجة حرب فيتنام داخل حلف شمال الأطلنطي، فضلاً عن اضطراب أوضاعها الاقتصادية ، وعدم استقرار نظامها السياسي داخلياً، عندئذ بدأ المسئولون الفرنسيون فى اعتناق خط ثوري جديد قبل ألمانيا الفيدرالية فحواه التعاون المباشر معها تحييداً لخطرها ، بدلاً من التحالف ضدها تبلور فى مشروع شومان .

–استطاع اديناور استطاع في أثناء قيادته لحكومة الألمانية الاتحادية وبهيمنته على وزارة الخارجية حتى عام ١٩٥٥م ، وما بعده أن يرسي قواعد وثيقة بينه وبين كبار رجال الدولة في الغرب. وكان أهم إنجازاته الدبلوماسية إرساء قواعد المصلحة بين ألمانيا وفرنسا باتصالاته مع رئيس الحكومة الفرنسية بيير منديس فرانس دى موليه، ولكن هذه السياسة بلغت ذروتها عام ١٩٥٧م، بتوقيع معاهدة روما مع دول الحلفاء. ثم اللقاء مع الرئيس الفرنسي شارل ديجول في ١٤ سبتمبر ١٩٥٨م ، ووضع خطوط السياسة الجديدة بين البلدين في المعاهدة الفرنسية الألمانية التي وقعت عام ١٩٦٣م .

الفصل الثامن: الدور الألماني الفرنسي في سياسة الاحتواء

- أولا : سياسة الاحتواء

–لم تكد الحرب العالمية الثانية تنتهى فى عام ١٩٤٥ حتى أصبح واضحاً أن تغييرات وتحولات جذرية قد طرأت على العالم المعاصر، وتمثلت فى: أولا: انهيار الإمبراطوريات القديمة؛ حيث خرجت ألمانيا مدمرة ومقسمة إلى أربع أجزاء، تحتلها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي، فى حين تقلص نفوذ الدول الاستعمارية القديمة مثل بريطانيا وفرنسا وهولندا وإيطاليا. ثانيا: نمو التهديد الشيوعي لنظم الحياة الرأسمالية، ثالثا : تعديل العديد من الحدود السياسية خاصة فى منطقة أوربا الوسطى وأوربا الشرقية، لصالح الاتحاد السوفيتي. رابعا: الانهيار الاقتصادي الذي لحق بالإمبراطوريات القديمة.

–ساهمت المتغيرات السابقة فى انقسام العالم إلى كتلتين متناقضين فكرياً وسياسياً مما أدى إلى اشتعال الصراع بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية، ذلك الصراع الذي اصطلح الساسة على تسميته بـ " الحرب الباردة" .

– أحست الولايات المتحدة، بحاجاتها إلى وضع سياسة بعيدة المدى لمواجهة الخطر السوفيتي. لذا نفذ الرئيس "ترومان مع عام ١٩٤٧ سياسة عرفت باسم "سياسة الاحتواء" وضعها "جورج كينان" مستشار الخارجية الأمريكية للشئون السوفيتية –، ويقصد بإستراتيجية الاحتواء" محاصرة الاتحاد السوفيتي من خلال سلسلة من الأحلاف والقواعد العسكرية والنظم الصديقة بما يضمن

منع انتشار النفوذ السوفيتي، وقد كان لإستراتيجية الاحتواء ما بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٥٠ وجهان، الأول تدعيم القوة العسكرية الأمريكية وتطويرها، والوجه الآخر هو مد يد المعونة للعالم غير الشيوعي من الناحية الاقتصادية والاجتماعية.

ثانياً: مبدأ ترومان :(تركيا واليونان)

– اشتعل الصراع بين الدول الغربية والاتحاد السوفيتي خلال الفترة (١٩٤٥ – ١٩٤٦) ، وفى ذلك الوقت كانت الحكومة البريطانية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية قد احتفظت بقوة عسكرية في كل من اليونان وتركيا تبلغ ٤٠ الف جندي، ولكن لاضطراب أمورها الاقتصادية أرسلت مذكرة إلى الحكومة الأمريكية في ٢١ فبراير ١٩٤٧ تضمنت قرارها بالانسحاب من اليونان وتركيا ضغطا لنفقاتها العسكرية، ولما كان الاتحاد السوفيتي يريد السيطرة على مضيقي البوسفور والدردنيل، هنا أدرك الرئيس الأمريكي ترومان أبعاد الخطر، ولذلك طرح مبدأ ترومان لحماية اليونان وتركيا من السقوط تحت السيطرة السوفيتية. الذي أعلن أمام الكونجرس في ١٢ مارس عام ١٩٤٧، وبناء عليه قدمت الولايات المتحدة مبلغ ٤٠٠ مليون دولار إلى اليونان وتركيا عام ١٩٤٧، وفي العام الذي يليه مبلغ ٢٢٥ مليون دولار كمعونة اقتصادية.

- ثالثا: مشروع مارشال

–تسببت الحرب العالمية الثانية في تصدع الاقتصاد القومي لمعظم دول القارة الأوربية، وكان بمقدور الولايات المتحدة وحدها تقديم تلك المعونة التي مثلها مشروع مارشال للإنعاش الاقتصادي .

–وقد وجه مارشال الدعوة إلى كافة دول القارة الأوربية – غربية وشرقية – للاشتراك في اللجان التمهيدية المختصة بوضع أسس توزيع المعونة الاقتصادية الأمريكية، وبناء على الدعوة الأمريكية سافر " مولوتوف " على رأس الوفد السوفييتي المشترك في اللجان التمهيدية وأن أعرب منذ الجلسة الأولى عن تفضيله لنمط المعونة الاقتصادية الثنائية بدلاً من نمط المعونة الاقتصادية الجماعية التي مثلها مشروع مارشال، وقد رأى مولوتوف في المشروع الأمريكي انتقاصاً لسيطرة الاتحاد السوفييتي على دول شرق أوروبا من ناحية، وتدعيم لصمود ومقاومة دول غرب أوروبا للتيار الاشتراكي من ناحية أخرى.

–سعى " جورج بيدو " – وزير الخارجية الفرنسي – إلى التوصل لحل وسط يقبله مولوتوف، عارضه فيه " بيفن " – وزير الخارجية البريطاني– خشية أن يرفض الكونجرس مشروع مارشال برمته، قاطع مولوتوف الاجتماعات – في ٢٧ يوليو عام ١٩٤٧ – عائداً الى موسكو، ومنها هاجم مشروع مارشال باعتباره تدخلاً في شئون الدول الأوربية،.

–وهكذا لم يطبق المشروع إلا علي الدول الأوروبية الليبرالية الغربية، وقد اجتمعت هذه الدول في باريس في ١٢ يوليو ١٩٤٧، ووقعت علي تقرير جماعي عن قبولها المشروع، وبموجب هذا المشروع أنفقت الولايات المتحدة الأمريكية بلايين من الدولاراتِ الأمريكيةِ، وقد قدرها البعض بحوالي ١٧ مليار دولار، وقد لعب مشروع مارشال دورا فعّالا في إستراتيجية الاحتواء .

– كانت فرنسا أكبر متلقي للمساعدة في خطة مارشال، والأكثر أهمية في وجهة النظر الأمريكية، وبين خطة مارشال والمساعدات العسكرية والمساعدة المباشرة في الميزانية والمساعدة الأمريكية لفرنسا في تحمل تكاليف حرب الهند الصينية، بلغت المعونة الأمريكية أو تجاوزت مليار دولار سنويا طوال الفترة ما بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٥٤.

–أما فيما يخص ألمانيا فى ظل مشروع مارشال فقد كانت واشنطن تسعى من وراء المشروع إلى تطوير الصناعة الألمانية. وبتوقيع ألمانيا الاتحادية على اتفاقية التعاون الاقتصادي واتخاذ الإجراءات التالية:

١– تنشيط الانتاج الصناعى والزراعى وخصوصاً (الفحم والصلب) ووضعه تحت المراقبة لمنع الاستخدام غير السلمى.

٢– تساهم ألمانيا بإنتاجها الصناعى والزراعى وبما يتوفر لديها من موارد طبيعية فى سد العجز لدى الدول الأوروبية.

٣– تكوين لجان فنية لدراسة النشاط الاقتصادي والموارد بالتنسيق مع الإدارات الاقتصادية تحت إشراف مندوبى الدول الثلاث.

٤– تحدد الحكومة الألمانية حجم المعونة المالية السنوية التى تحتاجها بناء على برامج تقرها دول المنظمة مجتمعة.

–كان ضم الولايات المتحدة الأمريكية لألمانيا من خلال مشروع مارشال "استهدف استغلال إمكانياتها لخدمة أهداف المشروع.

–ورغم ان مشروع مارشال فى ظاهرة بدا مغريا خالياً من العيوب إلا أنه أدي فى النهاية إلى هيمنة امريكية على ألمانيا الاتحادية، وقد رد الاتحاد السوفتى على انضمام ألمانيا الاتحادية إلى "خطة مارشال" فى ٢٥ يناير ١٩٤٩ بتشكيل مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادل" المعروف بالكومكون مع دول أوروبا الشرقية وضم إليه جمهورية ألمانيا الديمقراطية.

ثالثا : منظمة حلف شمال الأطلنطي:

–مثل حلف شمال الأطلنطي الوجه العسكري لسياسة الاحتواء ضد الخطر السوفيتي، فقد وافق الكونجرس على تحمل دور عسكري؛ فبدأت في يوليو عام ١٩٤٨مفاوضات تشكيل الحلف مع كندا والدول أعضاء اتفاقية بروكسل (بريطانيا، فرنسا، هولندا، بلجيكا ولوكسمبرج) انتهت إلى توقيعهم على اتفاقية الحلف فى ٤ أبريل عام ١٩٤٩.

–رفضت فرنسا عضوية المانيا فى الحلف ولذلك استمرار المفاوضات الخاصة بها نحو خمس سنوات، وقد تمسكت خلالها الولايات المتحدة بإعادة تسليح ألمانيا الغربية الفيدرالية لعدة مبررات هي :

١– تفجير الاتحاد السوفيتي أول قنبلة نووية في عام ١٩٤٩ وقيام التوازن النووي.

٢– سحب جزء من القوات الأمريكية الموجودة في القارة الأوروبية لمواجهة التهديد السوفيتي نتيجة نشوب الحرب الكورية.

٣– سحب فرنسا عدد كبير من جنودها في حلف الأطلنطي لموجهة الحرب فى الهند الصينية.

– بناء على هذه الاعتبارات الثلاثة، تقدم دين أتشسون، وزير الخارجية الأمريكي إلى مجلس وزراء خارجية حلف الأطلنطي المنعقد في سبتمبر عام ١٩٥٠ باقتراح نص على تشكيل قوات مسلحة تقليدية لحلف شمال الأطلنطي تحت قيادة موحدة تسهم فيها ألمانيا الفيدرالية بعدد محدود من الفرق العسكرية. قبل اعضاء الحلف الاقتراح ، باستثناء فرنسا التي عارضت دائما إعادة تسليح ألمانيا، غير أن "رنيه بليفان" – رئيس الوزراء الفرنسي – تقدم بمشروع عرف باسم "مجتمع الدفاع عن غرب أوروبا" يقوم على أساس دمج الجيش الألماني المقرر إنشاؤه وفقا لهذا المشروع ضمن جيش أوروبي متعدد القوميات.

– إذا كانت الحكومة الفرنسية هي صاحبة المبادرة إلا أن معظم الأحزاب السياسية الفرنسية هاجمت مشروع بليفان حتى انتهت الجمعية الوطنية الفرنسية إلى رفضه يوم ٣١ أغسطس عام ١٩٥٤، عندئذ هددت الحكومة الأمريكية بإعادة تقييم سياستها قبل دول غرب أوروبا إن لم تستجب لرغبتها في إعادة تسليح ألمانيا، وقد حمل التهديد الأمريكي معنيين: إما الإقدام على تسليح ألمانيا الفيدرالية بدون موافقة فرنسا، أو سحب القوات الأمريكية من أوروبا الغربية، لذا بادت الحكومة البريطانية إلى معالجة الموقف، حين اقترح رئيس وزرائها – أنتوني ايدن – توسيع اتفاقية بروكسل بضم ألمانيا الفيدرالية إلى أعضائها كخطوة أولى تمهيداً لعضويتها في حلف شمال الأطلنطي، وأدى ذلك الى إبرام اتفاقيات باريس – في أكتوبر عام ١٩٥٤ – التي سمح بمقتضاها لألمانيا الفيدرالية بتشكيل قوات عسكرية محدودة قوامها ١٢ فرقة عسكرية، ومنذ ذلك التاريخ أصبح لألمانيا وزن استراتيجي هام في الخطط العسكرية للعالم الغربي، إذ تحولت إلى أداة رئيسية من أدوات تنفيذها، وعلى الجانب الآخر صارت ألمانيا الديمقراطية – بعد انضمامها إلى حلف وارسو في عام ١٩٥٥ – ترسانة الحلف العسكرية ومركز تجميع قواته في مواجهة قوات حلف الأطلنطي.